مجلة الناقد للدراسات السياسية | المجلد: 06/ العـدد: 02 (2022)، ص 123-153

أدوات القوة الناعمة في السياسة الخارجية الإيرانية في إطار نظرية القوة الحادة

Soft Power Tools in Iranian Foreign Policy in the Context of Sharp Power Theory

هوشنك صابر أحمد

باحث متفرغ (العراق)، drhoshangahmed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/20 تاريخ القبول: 2022/09/11 تاريخ النشر: 2022/10/10

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تناول القوة الناعمة الإيرانية بعد التغييرات التي طرأت على نظرية القوة الناعمة وظهور نظرية القوة الحادة في العلاقات الدولية، وذلك من خلال بيان مرتكزات القوة الحادة الإيرانية في إطار تناول معايير ومفاهيم كل من القوة الناعمة والقوة الحادة، والتغييرات التي طرأت في تطبيقات أدوات القوة الناعمة للدول ذات الأنظمة الشمولية.

وتوصلت الدراسة إلى أن القوة الناعمة الإيرانية في تطبيقاتها الحالية ضمن إستراتيجيتها للهيمنة الإقليمية، لا تسعى إلى جذب الآخرين وكسب العقول والقلوب، بل أنها تخترق المجتمعات المستهدفة، وتتطابق مع معايير نظرية القوة الحادة.

كلمات مفتاحية: القوة الحادة، القوة الناعمة، القوة الناعمة الإيرانية، القوة الحادة الإيرانية.

Abstract:

This study explores Iranian soft power after the changes that occurred in the theory of soft power and the rise of Sharp power theory in International Relations. The study does that through analyzing the pillars of Iranian sharp power in the context, while trying to address the concepts and criteria of both sharp and soft powers. In addition, it tries to analyze the changes that have occurred in the soft power implementation and practices, in the totalitarian system countries.

The study concluded that the soft power which is currently practice in Iran's strategy of regional hegemony, does not try to attract others and to win hearts and minds; but to manipulate the targeted societies. That itself matches the criteria of sharp power theory.

Keywords: Sharp Power; Soft Power; Iranian Soft Power; Iranian Sharp power.

المؤلف المرسل: هوشنك صابر أحمد، **الإيميل**: drhoshangahmed@gmail.com

مقدمة:

يعتبر مفهوم القوة مفهوماً محورياً في العلاقات الدولية، إلا إنه مع تطور العلاقات الدولية ومحاولة العلماء والباحثين لبحث ودراسة هذا الواقع، طرأت على هذا المفهوم العديد من التحولات التي تنعكس على واقع العلاقات الدولية.

بعد سيطرة المدرسة الواقعية على الفكر المتعلق بمفهوم القوة والحديث عن القوة العسكرية بمفهومها التقليدي ودورها المسيطر في علاقات الدول، جاءت المدرسة الليبرالية لطرح اتجاه آخر للقوة وهي القوة الناعمة (Soft Power) كشكل آخر من أشكال القوة، ثم ظهرت اتجاهات جديدة لعرض نمط آخر للقوة وذلك في إطار الحديث عن القوة الذكية (Smart Power)، ومن ثم ظهر بُعد جديد ونمط آخر لأنماط القوة وهو القوة الحادة (Sharp Power)، الذي ابتكرته الأوساط الفكرية والبحثية الأمريكية في العلاقات الدولية في نوفمبر عام 2017.

ركزت الكثير من الباحثين في العلوم السياسية والعلاقات الدولية لفترة وجيزة من الزمن على تناول ودراسة القوة الناعمة للفواعل الدولية والإقليمية ومدى تأثير هذا النمط من القوة على تحقيق الأهداف الإستراتيجية والسياسية لهذه الفواعل، ومنها العديد من الدراسات والبحوث حول القوة الناعمة الإيرانية، ماهيتها، وتطبيقاتها، ومدى فعاليتها في تحقيق أهداف السياسة الخارجية الإيرانية. ومع التغييرات التي طرأت على مفهوم ونظرية القوة الناعمة كأحد أنماط القوة، التي تحاول من خلالها الدول في فرض التأثير عن طريق الجذب والإقناع وكسب العقول والقلوب. ومع ظهور نظرية القوة الحادة، أصبح من الضروري المراجعة في دراسة القوة الناعمة للدول، وخصوصاً القوة الناعمة للدول الاستبدادية، حسب المعايير المطروحة من قبل أصحاب هذه النظرية.

ولذلك فإن إشكالية الدراسة هي تناول القوة الناعمة الإيرانية كأداة لتحقيق أهداف سياستها الخارجية في ضوء التغييرات التي طرأت على نظرية القوة الناعمة. ومن خلال ذلك ستسعى الدراسة الإجابة على مجموعة من التساؤلات الفرعية وهو: هل أن القوة الناعمة الإيرانية تتطابق مع معايير ومفاهيم نظرية القوة الحادة؟ وما هي مرتكزات القوة الحادة الإيرانية؟ وما هي تطبيقات القوة الناعمة الإيرانية في نطاق المفاهيم الجديدة؟ وتنطلق هذه الدراسة من فرضية أساسية مفادها أن إيران توظف أدوات قوتها الناعمة لتحقيق أهدافها الإستراتيجية من خلال التسلل والتغلغل للمجتمعات المستهدفة، وليس عن طريق الجذب والإقناع وكسب العقول والقلوب.

ومن خلال المنهج الوصفي التحليلي، تهدف الدراسة إلى بيان مرتكزات القوة الحادة الإيرانية في إطار تناول معايير ومفاهيم كل من القوة الناعمة والقوة الحادة، والتغييرات الطارئة في تطبيقات أدوات القوة الناعمة للدول ذات الأنظمة الشمولية.

أولا: التحولات الديناميكية للقوة في العلاقات الدولية

1. القوة الناعمة، ظهورها وتعريفها

شهدت السياسات العالمية اهتماماً متزايداً بالأبعاد غير الملموسة من مكونات القوة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة كأحد أبعاد الظاهرة الدولية، ولقد ظهر هذا الاهتمام في مجال دراسة السياسة الخارجية في ضوء فشل تجارب استخدام القوة الصلبة في تحقيق أهداف السياسة الخارجية ومراجعة مفهوم القوة الصلبة والاستجابة لأنواع أخرى من القوة فرضها الواقع الدولي، وعلى أثر ذلك ظهر مفهوم القوة الناعمة (Soft Power) للمرة الأولى في عام 1990 على يد المفكر الأمريكي (Joseph Nye) حيث تناوله كامتداد لاهتماماته الأكاديمية والنظرية في دراسة تغيير القوة في العلاقات الدولية وتطور أدوار الفاعلين من غير الدول.

في كتابه (حتمية القيادة: الطبيعة المتغيرة للقوة الأمريكية Bound to Lead: The Changing Nature of American Power)، عرّف (Joseph Nye) القوة الناعمة بأنها القدرة على التأثير في الآخرين لتحسين وتعزيز الصورة أو المظهر الخارجي للدولة، وعلى وجه التحديد، أن القوة الصلبة للدولة، يمكن أن تشمل قوتها الاقتصادية والعسكرية. بينما قوتها الناعمة تكمن في قيمها السياسية والثقافية والأيديولوجية، وقدرتها في تكوين العادات والأعراف الدولية.[1] وقام من خلال كتب وأبحاث ومقالات أخرى بتفسير هذا المفهوم وتحديد مصادر القوة الناعمة ووسائلها.

إن القوة الناعمة هي القدرة على الوصول إلى الغاية المطلوبة من خلال جذب الآخرين، وليس باللجوء إلى التهديد أو العقاب. وهذه القوة تعتمد على الثقافة، القيم والمبادئ السياسية، وخلق صورة ذهنية إيجابية للدولة، حيث تخلق تعاطفاً معها ومع سياساتها وأهدافها. وإذا تمكنت الدولة من إقناع الدول الأخرى بأن يفعلوا ما تريدها منهم، فلن تضطر الدولة إلى إنفاق الكثير بتطبيق مبدأ العصا والجزرة لتحريك الآخرين في الاتجاه الذي يحقق مصالحها.[2]

ويرى (Nye) بأن هناك شواهد على أن استعمال القوة العسكرية أو الاقتصادية يمكن أن يؤثر في تغيير مواقف الآخرين تجاهك، وهذا ما تقوم عليها القوة الصلبة من خلال استخدام سياسة العصا والجزرة، ولكن في الوقت نفسه يمكن إحراز الغايات التي تخدم مصالحك دون تهديدات أو عقوبات ملموسة، وأن هذه الطريقة غير مباشرة للحصول على ما تريده تسمى أحياناً بالوجه الثاني للقوة.[3]

إن معايير القوة الناعمة كما ناقشها (Nye) والباحثون الآخرون هو: الجاذبية (attraction)، الإقناع (persuasion)، الاستقطاب (cooptation)، والمحاكاة (emulation).[4] والتي تعني استقطاب الآخرين وجذبهم عبر آليات تقوم على التأطير والإقناع والجاذبية، وبالاعتماد بشكل أكبر على موارد ناعمة غير مادية، مثل الثقافة والقيم السياسية وشرعية السياسات الخارجية، لتحقيق النواتج المنشودة.[5]

إن القوة الناعمة للدولة تقوم بشكل أساسي على ثلاثة مصادر وهي: الثقافة، والقيم والمبادئ السياسية، والسياسة الخارجية.[6]

ويقصد بالثقافة مجموعة القيم والممارسات التي يُعرف بها المجتمع، وتشمل الأدب، الفن والتعليم. أي تتضمن الثقافة العالية (High Culture) والثقافة الشعبية (Popular Culture).

أما المبادئ والقيم السياسية كمصدر منشئ للقوة الناعمة فهي طبيعة السياسات الداخلية وانفتاحها، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومصداقية القيادات السياسية، وقيم العدالة ونظام المحاكم، وحرية الرأي والتفكير، أو بمعنى آخر كل الشؤون الداخلية، الرسمية منها وغير الرسمية، التي تعزز احترام الدولة، وفيها عنصر الجذب للآخرين.[7]

والسياسة الخارجية للدولة فهي أيضاً إحدى مصادر القوة الناعمة، فإن طريقة بناء العلاقات مع الدول الأخرى، والقيم التي تعبّر عنها الدولة في جوهر سياستها الخارجية يعد مصدراً لانجذاب الآخرين نحو تلك السياسات. كما أن جميع الدول تسعى إلى تحقيق مصالحها الوطنية من خلال سياستها الخارجية. ولذلك تحاول الدول أن تصوغ سياستها الخارجية لجذب الآخرين للتعاون من أجل تحقيق مصالحها بشكل يتوافق مع مصالح الدول الأخرى. وأن القوة الناعمة هي تعبئة التعاون مع الآخرين دون اللجوء إلى أسلوب التهديد أو العقوبات. والسياسة التي تستند إلى تعريف شامل وذات بعد النظر للمصلحة الوطنية تكون أكثر جاذبية للآخرين من السياسة المستندة إلى التعريف الضيق وقصير النظر للمصلحة الوطنية. فعلى سبيل المثال، عندما تكون المساعدات الخارجية من أجل التنمية الدولية إحدى وسائل السياسة الخارجية، فإن هذه السياسة تلقى احترام الآخرين وتعزز صورة الدولة في المجتمع الدولي.[8]

2. القوة الحادة، ظهورها ومفهومها

في شهر تشرين الثاني/ نوفمبر عام 2017 ابتكرت الأوساط الفكرية والبحثية الأمريكية في العلاقات الدولية مصطلحاً جديداً سُمي بالقوة الحادة (Sharp Power)، وجاء ذلك من خلال ورقة أكاديمية أعدها الباحثان (Christopher Walker and Jessica Ludwig) في مجلة (Foreign Affairs) بعنوان (معنى القوة الحادة، كيف تمارس الدول الاستبدادية التأثير، The Meaning of Sharp Power, How Authoritarian States Project Influence)، والباحثان من أنصار النظرية الديمقراطية ويعملان في (National Endowment for Democracy) الذي يمول من قبل الكونجرس الأمريكي، ومن ثم جاءت دراسات أخرى، لتوضيح مفهوم القوة الحادة.

جاء طرح مفهوم القوة الحادة من خلال دراسة التأثير والنفوذ للدول الاستبدادية في الميدان الدولي، وبالأخص روسيا والصين. أن هاتين الدولتين كرستا مليارات من الدولارات لزيادة نفوذهما العالمي من خلال أدوات القوة الناعمة، إلا أن استطلاعات الرأي العام ومؤشرات القوة الناعمة تشير إلى أن هذه الأنظمة الاستبدادية تعاني من عجز شديد في القوة الناعمة، على الرغم من تعاظم نشاطها على الصعيد الدولي، وقد أدى ذلك إلى تعزيز الفكرة القائلة بأن الجذب والإقناع لا يتفقان مع الاستبداد. وعلى المستوى الدولي لا يفوز الحكام المستبدون بكسب القلوب والعقول. ومع ذلك تواصلت هذه الدول استعراض قدر من النفوذ خارج حدودها أكبر من أي وقت مضى، وأن هذا النفوذ لا يأتي أيضاً من خلال استخدام القوة الصلبة، بالرغم من أن روسيا استخدمت القوة العسكرية بنمط متكرر في كل من جورجيا في عام 2008 وأوكرانيا في عام 2014 وفي سوريا عام 2015، إلا أن المقاتلات الروسية النفاثة والدبابات ليست هي التي تدفع طفرة النفوذ العالمي التي تشهدها موسكو، وعلى نحو مماثل، تستعرض الصين قوتها العسكرية في بحر الصين الجنوبي وعلى طول حدودها المتنازع عليه مع الهند، وأيضاً التأثير والنفوذ الصيني على الساحة الدولية يتنامى يوماً بعد يوم عن طريق استخدام أشكال أخرى للنفوذ، ولم تستخدم روسيا والصين الأداة الاقتصادية كإحدى أدوات القوة الصلبة لفرض إرادتها وكسب النفوذ والتأثير.[9]

ولهذا ظهر تساؤل رئيسي لدى المنظرين والمفكرين في حقل العلاقات الدولية ودارسي ظاهرة القوة بأن هذه الأنظمة لا تعتمد أساساً على القوة الصلبة، وهي غير ناجحة في توليد القوة الناعمة، ولكنها تظل قادرة على فرض نفوذ حقيقي في الخارج، لذا أصبح من الضروري التأمل في هذه المفارقة الظاهرية. لذلك

ظهر افتراض مفاده أن الحكومات الاستبدادية، التي تقمع التعددية السياسية وحرية التعبير من أجل الحفاظ على السلطة من الداخل، قد تكون ميّالة إلى التصرف على نحو مختلف في الساحة الدولية. فقد تبنت هذه الأنظمة بعض أشكال القوة الناعمة بدهاء، ولكن ليس جوهرها، وأفضل وصف لما تمارسه هذه الأنظمة هو القوة الحادة.[10]

القوة الحادة هي القدرة على التأثير في الآخرين، للحصول على النتائج المرجوة من خلال توظيف مختلف الأدوات السياسية، والاقتصادية، والإعلامية التي تقوم على التلاعب (Manipulation) والإلهاء (Distraction) لاختراق الدولة المستهدفة بالاعتماد على الوقيعة والترهيب والضغط من أجل تشكيل اهتمامات النخب السياسية والتأثير على القوى المؤثرة، ومن ثم التأثير على عملية صنع القرار في هذه الدولة. حتى أن الأدوات الثقافية والإعلامية تخترق وتثقب وتخرز، وأن آليات القوة الحادة مثل السكين تقطع النسيج الاجتماعي وتسعى لتكريس الانقسامات الموجودة في المجتمعات.[11]

3. أوجه الاختلاف بين القوة الحادة والقوة الناعمة

يرى أصحاب مفهوم القوة الحادة أن هناك حاجة لإعادة التفكير في مفهوم القوة الناعمة، لأن المفردات المقيدة لمعنى المفهوم والمستخدمة منذ انتهاء الحرب الباردة لم تعد تعبر على نحو مناسب عن التطورات المعاصرة. إن القوة الحادة هي الاعتماد على الخديعة والترهيب والضغط، في حين تستغل القوة الناعمة بريق الثقافة والقيم لتعظيم قوة دولة ما، فإن القوة الحادة تساعد الأنظمة الاستبدادية على إملاء السلوك وفرضه بالقوة داخلياً والتأثير في الرأي العام خارجياً. لا تسعى الأنظمة الاستبدادية بالضرورة إلى كسب القلوب والعقول، التي تعتبر الإطار المرجعي الموحد لجهود القوة الناعمة، لكنها تسعى بالتأكيد للتلاعب في الجماهير المستهدفة عن طريق تشويه المعلومات التي تصل إليها، وتجسد القوة الحادة الطبيعة الخبيثة والعدوانية للمشروعات السلطوية، التي لا تشبه إلى حد كبير جاذبية القوة الناعمة الحميدة، من خلال القوة الحادة، فإن القيم غير الجذابة عموماً للأنظمة الاستبدادية التي تشجع على احتكار السلطة، والرقابة والولاء بالإكراه يتم استعراضها خارجياً. وعلى عكس التأثير الحاد للقوة الصلبة، تستلزم القوة الحادة درجة من التسلل والاختراق، من خلال الاستفادة من البيئة السياسية والإعلامية المفتوحة للديمقراطيات.[12]

رد البروفيسور (Joseph Nye) في دراستين على أوجه التشابه والاختلاف بين القوة الناعمة والقوة الحادة، إذ يرى أنه أحياناً يستخدم مصطلح القوة الناعمة، التي يقصد بها القدرة على التأثير في الآخرين بطريق الجذب والإقناع بدلاً من القوة الصلبة التي تنطوي على الإجبار والعقوبة، لوصف أي ممارسة

لنفوذ لا تنطوي على استخدام القوة المادية. لكن هذا تصور خاطئ، فقد تعتمد القوة أحياناً على من يفوز جيشه أو اقتصاده، لكنها قد تعتمد أيضاً على من تفوز قصته أو قضيته، أن أي رواية قوية تعتبر مصدراً للقوة، وقد ولّد نجاح الصين الاقتصادي قوة صلبة وناعمة، لكنها مقيدة بحدود، فعلى سبيل المثال أن أي حزمة من مساعدات اقتصادية صينية في إطار مبادراتها تكون ضمن أدوات قوتها الناعمة، لكنها لن تكون كذلك إذا تحولت بنودها إلى شروط غير مرغوبة، كما أن الممارسات الأخرى للقوة الاقتصادية الصلبة تُضعف القوة الناعمة للرواية الصينية. ومما يُذكر في هذا الصدد قيام الصين بمعاقبة (النرويج) لمنحها الصيني (ليو شياوبو) الناقد والناشط في مجال حقوق الإنسان جائزة نوبل للسلام، كما هددت بتقييد وصول دار نشر أسترالية إلى السوق الصينية لنشرها كتابا ينتقد الصين.[13]

لكن على الرغم من أنه يمكن أن تستخدم القوة الناعمة من أجل تحقيق غايات شريرة، إلا أن وسائلها تعتمد على إستراتيجية التطوع، التي تعد الأفضل على صعيد الاستقلال الذاتي البشري. وعلى النقيض، تستند القوة الصلبة على تقديم الإغراءات سواء أكانت عن طريق دفع مبالغ مالية أم الإكراه والتهديد. على سبيل المثال، إذا كان هناك شخص ما يضع البندقية على رأسك ويطالبك بإعطائه محفظتك، فذلك يدل على أن ذلك الشخص لا يهمه ما تريده أو ما تفكر به، حيث تسمى هذه الإستراتيجية بالقوة الصلبة. في المقابل، إذا كان هذا الشخص يحاول إقناعك بالتخلي عن محفظتك بملء إرادتك، فذلك يعني أن القرار في تلك اللحظة يعود بالأساس إلى ما تريده أو تفكر به، وتسمى هذه الإستراتيجية بالقوة الناعمة.[14]

ويضيف (Nye) أن الحقيقة والصراحة تمثلان الخط الفاصل بين القوة الناعمة والقوة الحادة في مجال الدبلوماسية العامة، فعندما تبث قناة (روسيا اليوم) من موسكو أو وكالة الأنباء الصينية الرسمية (شينخوا) الأخبار علناً في الدول الأخرى، فهي بذلك تستخدم أساليب القوة الناعمة وتوظفها، والتي ينبغي أن يتم تقبلها حتى وإن حملت الرسالة الموجهة من هذه القنوات معاني غير مرحب بها، لأنها تقوم على الإقناع لا القهر. أما حين تدعم إذاعة الصين الدولية 33 محطة إذاعية في 14 دولة بشكل سري، فهي تستعمل بذلك القوة الحادة، ما يستوجب الكشف عن مثل هذه الممارسات، فدون الكشف المتكامل يتم انتهاك مبدأ العفوية والتطوع.[15]

على الطرف الآخر هناك من يرى أن القوة الحادة لا تأتي بمعنى ودلالة القوة الناعمة للدول الاستبدادية، فهي ليست صلبة ولا ناعمة (Neither Hard but nor Soft) وتختلف عن القوة الناعمة والقوة الصلبة.[16]

فالقوة الحادة تختلف عن القوة الناعمة بالرغم من تواجد أهداف متطابقة بينهما، فكلتاهما تحاولان تغيير الرأي العام في الدولة المستهدفة من خلال التأثير عليها والحصول على المخرجات المطلوبة، وتعتمدان على أدوات مماثلة لإحداث التأثير وهي: الثقافة والمعتقدات، القيم، والسياسات، وتشاركان في وسائل التأثير كالأدوات الإعلامية، الدبلوماسية العامة، المؤسسات الثقافية والتعليمية، والخ....

وعلى الرغم من كل هذا هناك اختلاف جذري بين القوة الحادة والقوة الناعمة والتي قوامها عنصر الإكراه (Coerciveness). فالقوة الناعمة تعتمد على الجذب (Attraction) بدلاً من الإكراه أو الدفع (Coercion or Payment) كوسيلة للإقناع، في حين أن القوة الحادة، على النقيض منها، تعتمد على الإلهاء والتلاعب وأنها تثقب وتخترق وتخرز البيئة السياسية والمعلوماتية في البلدان المستهدفة، بدلاً عن جذب وإقناع جمهورها.[17]

كذلك تختلف القوة الحادة عن القوة الناعمة من حيث الأهداف. فإن هدف القوة الحادة ليست تحسين صورة الدولة في مجتمع الدولة المستهدفة، وأن آلياتها وتقنياتها تهدف إلى شيء آخر، وهي التدخل في العملية السياسية للدولة المستهدفة، وانتهاك استقرارها السياسي، وتشكيل تهديد على أمنها الوطني.[18]

كنتيجة لذلك تتمتع القوة الحادة بمميزات مشتركة مع كل من القوة الناعمة والقوة الصلبة، ولكنها تختلف عن القوة الناعمة بسبب تواجد عنصر (الإكراه) وعن القوة الصلبة من ناحية مصادرها غير الملموسة. ويُنظر إلى القوة الحادة على أنها شيء ما بينهما، ولكن بدقة أكبر، وهي شيء فريد من نوعه.[19] ويمكن لأي دولة أن تمارس القوة الناعمة أو القوة الحادة، ولكن لا تستطيع أن تمارس كلتاهما معاً،[20] لأنه يصعب الجمع بين أهداف يتطلب الجذب واستخدام القوة الناعمة، واستخدام إستراتيجية العرقلة والتدخل في الشؤون الداخلية.[21]

ثانيا: القوة الحادة في السياسة الخارجية الإيرانية

1. مرتكزات القوة الحادة الإيرانية

عند تناول الحالة الإيرانية، كفاعل إقليمي تسعى إلى فرض السيطرة والنفوذ وخاصة في منطقة الشرق الأوسط والبلدان المستهدفة في إستراتيجيتها، لابد من التركيز على نوع القوة التي توظفها إيران، والتي في إطارها، تستخدم إيران أدواتها المتنوعة لتحقيق أهدافها.

لقد اختلف الباحثون في كثير من الأحيان في دقة تحديد نوع القوة التي توظفها الدول في تحقيق أهداف سياستها الخارجية وذلك لعدة أسباب، منها:[22]

1. لكون مفهوم القوة من المفاهيم المعقدة والمركبة التي ساد حولها الكثير من الجدال والمناقشات الفكرية والنظرية في علم العلاقات الدولية ومن ضمنها في سياق دراسة السياسات الخارجية للدول، تعتبر القوة من الظواهر التي يسهل وصفها لكن يصعب تعريفها، كونها مفهوم ديناميكي يرتبط بالسياق والزمان والمكان والمجال الذي يستخدم فيه.

2. إن الأنواع الحديثة للقوة تعتمد على أدوات مماثلة لإحداث التأثير، وكذلك تتشارك في وسائل التأثير كالأدوات الإعلامية، الدبلوماسية العامة، المؤسسات الثقافية والتعليمية، ومؤسسات القوة الصلبة.

3. تعدد اتجاهات تفسير القوة وخاصة في تقسيم أنواع القوة، فهناك اتجاه السلوك أو المخرجات الذي يرى ضرورة التفرقة بين مصادر القوة وسلوك القوة، وأن نوع القوة يتحدد بسلوك القوة من حيث كونها قوة جذب وإقناع، أو قوة جبر وإكراه، وقد تستخدم في هذا مصادر ملموسة أو غير ملموسة. أما الاتجاه الآخر فيحدد نوع القوة من حيث المصادر، أي وفقاً للمصادر الداخلة في خلق هذه القوة، وتقوم هذه النظرية على أن نوعية مصدر القوة تحدد نوع القوة، فعلى سبيل المثال إذا كان مصدر القوة هي مصادر غير ملموسة أو مصادر ناعمة للقوة، فإنها القوة الناعمة، ولا تختلف إذا كانت تعتمد على الجذب والإقناع، أو على الإكراه والإجبار، ولكن لابد لها أن تعتمد على مصادر غير ملموسة.

لذلك اختلفت آراء الباحثين والدارسين في مجال السياسة الخارجية الإيرانية حول تعريف وتحديد نوع القوة التي تعتمد عليها إيران وتوظفها في تحقيق أهدافها الخارجية، وبالتحديد في إستراتيجيتها للهيمنة والنفوذ في الشرق الأوسط، والخلط بين نوعية القوة وخاصة في تناول الأشكال الحديثة للقوة كالقوة الناعمة، والقوة الذكية.

لم تعتمد إيران على قوتها الصلبة منذ انتهاء حربها مع العراق في عام 1988، وليست هناك أية تطبيقات لها في سياستها الخارجية تجاه الشرق الأوسط، وإن كانت قد شاركت إيران إلى جانب النظام السوري منذ عام 2011 في العمليات العسكرية ضد مناوئي الرئيس السوري والنظام في سوريا، وكذلك وجود مستشارين عسكريين في العراق ما بعد عام 2014 في الحرب على تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، إلا إنها لا تعد كإستراتيجية للقوة الصلبة الإيرانية لتحقيق أهداف إيران الخارجية.

فهنالك عدد من الدراسات لباحثين إيرانيين وغير إيرانيين حول ماهية القوة الناعمة الإيرانية واستخداماتها في السياسة الخارجية الإيرانية، والتي فيها نوع من الإلتباس، إذ يتم دراسة القوة الناعمة الإيرانية دون التعمق في دراسة كيفية إنتاج القوة الناعمة فيها، وتطابقها مع المعايير النظرية التي وضعها المفكرون والمنظرون حول هذه النظرية وعلى رأسهم المفكر والمنظر الأمريكي (Joseph Nye)، إضافة إلى مخرجات وسلوكيات القوة الناعمة الإيرانية ومؤسساتها.

إن معايير القوة الناعمة كما ناقشها (Joseph Nye) وباحثون آخرون هي: الجاذبية، الإقناع، الاستقطاب، والمحاكاة. والتي تعني استقطاب الآخرين وجذبهم عبر آليات تقوم على التأطير والإقناع والجاذبية، وبالاعتماد بشكل أكبر على موارد ناعمة غير مادية، مثل الثقافة والقيم السياسية وشرعية السياسات الخارجية، لتحقيق النواتج المنشودة.

لقد كانت الأدوات الثقافية الإيرانية إحدى أهم الوسائل لتصدير الثورة، فعند الحديث عن تصدير الثورة في إيران، يمكن التطرق إلى مقاربتين رئيستين في هذا الشأن، المقاربة الأولى: هي تصدير ثورة حقيقية، تهدف إلى إحداث ثورة في البلدان الأخرى. أما الثانية: تسمى دولة الأم، حسب نظرية أم القرى، وتقوم على فكرة تصدير ثورة ثقافية، بالتركيز على قيم الثورة، بدلاً من تصدير الثورة ذاتها.[23] إن المقاربة الأولى، أي تصدير الثورة بالقوة لم تكن واضحة، ولكن الشيء الواضح كان إدراك الجمهورية الإسلامية لأهمية القوة الناعمة في نشر رسالتها الثورية، كما أشار إليه الإمام خميني مرشد الثورة الإسلامية في حديث له عام 1980 أن الوسائل الهائلة التي يمكن من خلالها أن تنجح الثورة هنا وتصدر إلى الخارج، هي التبليغات (أي النشر، التواصل، والتبشير) بشكلها الصحيح. ولذلك الهدف أنشئ في عام 1984 المجلس الأعلى للثورة الثقافية.[24]

لقد كان المقصود بتصدير الثورة الثقافية هو نشر قيم الثورة، وأهدافها، وتعاليمها وخطابها إلى شعوب العالم، أي أن هذه المرحلة كانت مرحلة تحويل جميع الإمكانيات المتاحة إلى ثقافة، أي أن الإمكانيات التي كانت تقدم سابقاً بصيغة أيديولوجية، سيتم عرضها على شكل صيغة ثقافية، لذلك في هذه المرحلة ركز رجال الدولة الإيرانيون على أن أبرز مميزات الثورة الإسلامية هو البعد الثقافي لها، أي أن إيران تحاول تصدير الثورة الثقافية. ولكن مسألة تصدير الثورة مرت بمراحل وأبعاد مختلفة، حيث كانت المرحلة الأولى مرحلة تصدير الثورة بشكل مباشر، وفي المرحلة الثانية، وهي مرحلة تصدير الثورة الثقافية، تحولت العناصر الكامنة للقوة الناعمة الإيرانية التي كانت في صيغة أيديولوجية إلى عناصر ثقافية، أما في المرحلة الثالثة فيلاحظ أن الأيديولوجيا المتحولة إلى ثقافة، تقوم من خلال تطويق ثقافة الآخر، بإعادة تحويلها إلى أيديولوجيا مرة

أخرى، فعلى سبيل المثال، كان المذهب الشيعي في المراحل الأولى من الثورة يشكل قاعدة أيديولوجية عالمية من خلال شعار (كل أرض كربلاء وكل يوم عاشوراء)، وفي المرحلة الثانية ظهر المذهب الشيعي على أنه مذهب يهدف إلى التأثير في المجتمعات الشيعية، أما في المرحلة الثالثة ومع تولي الشيعة مقاليد الأمور في المناطق التي يتواجدون فيها، فقد جرى تحفيزهم من أجل إقامة حكم مشابه لذلك الذي أقامته إيران والالتزام بمبدأ الولي الفقيه، لإعادة استدعاء الجانب الأيديولوجي للثقافة، ويعد العراق أبرز نموذج لذلك، حيث تحاول إيران إلزام القوى الرئيسية في العراق إطاعة نظام ولاية الفقيه.[25] وإنه من الواضح أن عناصر القوة الناعمة الإيرانية تتمثل في اللغة والثقافة الفارسية، والإسلام والمذهب الشيعي.

أما المبادئ والقيم السياسية كمصدر منشئ للقوة الناعمة فهي طبيعة السياسات الداخلية وانفتاحها، والديمقراطية، وحقوق الإنسان، ومصداقية القيادات السياسية، وقيم العدالة ونظام المحاكم، وحرية الرأي والتفكير، أو بمعنى آخر كل الشؤون الداخلية، الرسمية منها وغير الرسمية، التي تعزز احترام الدولة، وفيها عنصر الجذب للآخرين.[26]

مما لا شك فيه أن السياسات الداخلية الإيرانية ومسائل حقوق الإنسان وقيم العدالة ونظام المحاكم، وحرية الرأي والتفكير، ليس فيها عنصر الجذب للآخرين، بل على العكس عرضة لانتقادات مستمرة من الداخل الإيراني، والمعارضة الإيرانية الموجودة في الخارج، وكذلك من قبل الحكومات والمنظمات الدولية والإقليمية.

ورغم أن الانتخابات الرئاسية التي جرت في 18 حزيران/ يونيو 2021 تعد الثالثة عشر منذ قيام الثورة، وهي دليل على حيوية النظام السياسي الإيراني، وهكذا إذا كانت للحالة الديمقراطية في إيران أوجه، فإن بها أيضاً قسمات للدكتاتورية الدينية، مثل وضع المرشد صاحب الصلاحيات الواسعة جداً، وسيطرة وتحكم مجلس صيانة الدستور في العملية الانتخابية باختيار الشخصيات المرشحة للانتخابات البرلمانية والرئاسية، فضلاً عن تقييد صلاحيات رئيس الجمهورية، وكل ما ذكر ينقص كثيراً من الديمقراطية الإيرانية والنموذج الإيراني.

أما السياسة الخارجية للدولة فهي أيضاً إحدى مصادر القوة الناعمة، فإن طريقة بناء العلاقات مع الدول الأخرى والقيم التي تعبّر عنها الدولة في جوهر سياستها الخارجية تعد مصدراً لانجذاب الآخرين نحو تلك السياسات. كما أن جميع الدول تسعى إلى تحقيق مصالحها الوطنية من خلال سياستها الخارجية،

ولذلك تحاول الدول أن تصيغ سياستها الخارجية لجذب الآخرين للتعاون من أجل تحقيق مصالحها بشكل يتوافق مع مصالح الدول الأخرى. وأن القوة الناعمة هي تعبئة التعاون مع الآخرين دون اللجوء إلى أسلوب التهديد أو العقوبات. والسياسة التي تستند إلى تعريف شامل وذات بعد نظر للمصلحة الوطنية تكون أكثر جاذبية للآخرين من السياسة المستندة إلى التعريف الضيق والقصير النظر للمصلحة الوطنية. فعلى سبيل المثال عندما تكون المساعدات الخارجية من أجل التنمية الدولية إحدى وسائل السياسة الخارجية، فإن هذه السياسة تلقى احترام الآخرين وتعزز صورة الدولة في المجتمع الدولي.[27]

وما يلاحظ في توجهات السياسة الخارجية الإيرانية نحو الشرق الأوسط ودول جوارها بشكل خاص، ومع قيام الجمهورية الإسلامية الإيرانية والإعلان عن مبادئ الثورة الرئيسية، ومنها تصدير الثورة إلى الخارج، وسياساتها التوسعية، بأنها سياسة غير مريحة لهذه الدول، إضافة إلى ذلك أن السياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول المنطقة تعكس من جهة أخرى طبيعة السياسة الأمنية والدفاعية للدولة، إذ يلعب الحرس الثوري وأجهزة الاستخبارات دوراً كبيراً في وضع الملامح العامة للأمن القومي الإيراني والسياسة الخارجية الإيرانية تجاه دول الشرق الأوسط بشكل خاص، وأصبحت السياسة الخارجية الإيرانية توصف بالسياسة الخارجية التوسعية، وأنتجت التوترات في المنطقة بحيث أصبحت تشكو دول المنطقة من تدخل إيران واختراقها للشؤون الداخلية لتلك البلدان، ولذلك لا يمكن وصف السياسة الخارجية الإيرانية بأنها عامل جذب والتعاون بين إيران ودول جوارها، ولا يصلح أن تكون مصدراً منشئاً للقوة الناعمة الإيرانية.

بينما في الجانب الآخر يرى أغلبية الباحثين الإيرانيين أن القوة الناعمة الإيرانية هي جزء من الدبلوماسية الثقافية والدبلوماسية العامة الإيرانية، وهي تقوم على ثلاث ركائز رئيسة وهي الثقافة، والقيم السياسية، والسياسة الخارجية.

فالركيزة الأولى هي التاريخ والثقافة الإيرانية وحضارة عمرها أكثر من سبعة آلاف سنة ولديها تأثير على دولها المجاورة أيضاً، وكذلك أن الفعاليات الثقافية هي مصدر آخر للدبلوماسية العامة الإيرانية، وأن اللغة الفارسية تعتبر من أهم مصادر القوة الناعمة الإيرانية وهي مصدر رئيسي لجذب الآخرين والتي لديها مشتركات مع لغات حية في المنطقة كالعربية، والتركية، والهندية، والأرمينية، والجورجية، والسواحلية والعديد من اللغات الأخرى. إضافة إلى ذلك أن المغتربين الإيرانيين الذين يصل عددهم إلى أكثر من خمسة ملايين

شخص يلعبون دوراً بارزاً في نشر الثقافة الإيرانية. والركيزة الثانية هي القيم السياسية، إذ يرى الباحثون الإيرانيون أن إيران قدمت أنموذجاً فريداً ينبع من النظام السياسي الإيراني الهجين الذي يتبنى مفهوم (الديمقراطية الدينية) كنموذج فريد ومصدر للقوة الناعمة الإيرانية، ويشكل هذا النموذج بديلاً للأنظمة التقليدية ويعتبر نموذجاً جذاباً للمسلمين المتدينين.[28] أما الركيزة الثالثة لقوة إيران الناعمة هي سياستها الخارجية، ويشير الدستور الإيراني إلى دور السياسة الخارجية القائمة على القيم الإسلامية، والالتزام الأخوي تجاه جميع المسلمين، والحماية الكاملة للمظلومين في جميع أنحاء العالم. بحسب آراء الباحثين الإيرانيين تعتبر هذه المبادئ أساس القوة الناعمة لإيران.[29]

إن القوة الناعمة تقوم على الاستخدام الناعم للقوة لازدياد الجاذبية، والقدرة الإقناعية للدولة. فإذا أحسنت الدولة استخدام مصادر قوتها من خلال ثقافتها، واقتصادها، وبرامجها السياسية من أجل جلب الرفاهية لشعبها، فإنها بالتأكيد ستكون موضع احترام وإعجاب الدول الأخرى، وإذا استخدمت مصادر قوتها بالحكمة والتعقل والحذر، وراعت وجهة نظر الدول الأخرى عند بناء علاقاتها معها، وعملت على المصلحة العامة للمجتمع الدولي، فإنها بالتأكيد ستربح إحترام وصداقة وتعاون الدول الأخرى، وبذلك تتحقق مصالحها الوطنية كما ترسم لها.[30]

ومن جانب آخر يعتبر الإيرانيون القوة الناعمة أداة للهيمنة الغربية، وأن القوة الناعمة هي تطبيق محدث للأدوات التقليدية للقوة الصلبة التي تستخدمها الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق غايات توسعية، ويتجلى ذلك في تكتيكات تعزيز الديمقراطية، والجهود المبذولة لتطوير المجتمع المدني في الخارج، والعمل من خلال منظمات المجتمع المدني التي تبدو ظاهرياً بأنها غير سياسية.[31]

هناك اختلافات مفاهيمية رئيسية حول القوة الناعمة، إذ إن مفهوم الدول الاستبدادية، كروسيا والصين وإيران وكوريا الشمالية وغيرها من الدول ذات الأنظمة الشمولية، للقوة الناعمة له بعد أمني، وينظرون إلى القوة الناعمة الغربية على أنها تقوض مصالحهم، وبالتالي يعملون لتطوير أدواتهم الخاصة لمواجهة هذا التهديد. إن الإيرانيين يستخدمون مصطلح الحرب الناعمة (Soft War) لوصف إستراتيجيات القوة الناعمة الغربية. ويفسرون ذلك بأن القوة الناعمة الأمريكية ما هي إلا أدوات للهيمنة الأمريكية وهي ضمن إستراتيجيات أمريكا والغرب لاستهداف إيران.

وجاء في حديث للمرشد الأعلى للثورة الإسلامية آية الله علي خامنئي عن الحرب الناعمة في اجتماع له مع مجموعة من قوات الباسيج في تشرين الثاني/ نوفمبر 2009: إن الحرب الناعمة هي الأولوية، ووصفها بأنها تعني الحرب باستخدام الأدوات الثقافية، من خلال التسلل، ونشر الشائعات والأكاذيب عبر أدوات الاتصال المتقدمة الموجودة اليوم والمنتشرة على نطاق واسع، فالحرب الناعمة تعني إثارة الشك في قلوب الناس وعقولهم.[32]

ويستخلص من ذلك أن إيران تستخدم القوة الناعمة في إطار مفاهيم الحرب الناعمة، أي إثارة الشك في قلوب الناس وعقولهم من خلال عمليات الاختراق والتسلل بدلاً من الجذب وكسب القلوب والعقول، والتي تهدف إلى تقويض الدول المستهدفة من الداخل.

ومن جهة أخرى، يرى (Nye) أن الكثير من مصادر القوة الناعمة تأتي من المجتمعات المدنية والتي هي غير حكومية، كالجامعات والمؤسسات الإعلامية والثقافية، فإن المنظمات غير الحكومية المدعومة حكومياً (Government-Organized Non-Governmental Organizations)، هي أيضاً ما يميز أدوات القوة الناعمة للدول الاستبدادية، حيث إن تلك المؤسسات تكون تابعة للدولة وتحت رقابتها المتشددة، لذلك تواجه هذه الدول صعوبة في إنتاج قوتها الناعمة.[33] وتختلف القوة الناعمة لهذه الدول في التنفيذ أيضاً، حيث إن الحكومة ومؤسساتها ووكالاتها هي الأدوات الرئيسية للقوة الناعمة، وتتحكم الدولة بمصادر قوتها الناعمة ورواياتها الإستراتيجية، وتحدد الأهداف الرئيسية للجهات الفاعلة. وفي الغالب تكون ممارسة موجهة من قبل الدولة من خلال تلك الأدوات التي تهدف إلى استغلال نقاط الضعف في الدولة المستهدفة.[34]

إن مصادر القوة الناعمة في إيران من الأعلى إلى الأدنى تتمركز في يد المرشد الأعلى وعدد من المسؤولين الحكوميين، وقد حاول المسؤولون الإيرانيون، التحكم في نشر الثقافة والقيم السياسية الإيرانية في الشرق الأوسط ومناطق أخرى حول العالم بما في ذلك شعوب دول وسط آسيا الناطقة بالفارسية، والأقليات الشيعية في الشرق الأوسط وجنوبي آسيا، والسكان الشيعة وغير الشيعة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا وأوروبا وأمريكا الشمالية. إن صانعي قرار الإستراتيجية الإيرانية لا يحاولون إقناع الآخرين عبر عنصر الجاذبية وفوز العقول والقلوب، بل يسعون دوماً إلى التأثير في الشعوب والحكومات من خلال تحويل معتقداتهم وعقولهم وقلوبهم عبر الاختراق والتلاعب.[35]

إن إيران تحاول إظهار نفوذها باستخدام الأساليب التي تشمل الأدوات الناعمة مع الأدوات الصلبة على حد سواء، بدلاً من الاعتماد على أدوات الجذب والإقناع، لذلك يطلق عليها الإكراه الناعم (Soft Coercion)، أو الإجبار الناعم (Soft Force) والتي تأتي بمعنى القدرة على فرض السيطرة وتحقيق الأهداف بوسائل غير عسكرية.

أما بخصوص استخدامات إيران لإستراتيجيات القوة الذكية، فلابد من التذكير بأن القوة الذكية ليست صلبة ولا ناعمة، بل هي المزج بين الاثنين بذكاء، ويعني تطوير إستراتيجية متكاملة، وقاعدة موارد، ومجموعة أدوات لتحقيق الأهداف بالاعتماد على القوة الصلبة والناعمة.

فهنا أيضاً تكون عناصر القوة الناعمة شرطاً في تكوين إستراتيجيات القوة الذكية، بمعنى المفهوم الدقيق للقوة الناعمة الذي طرحه منظري هذا النوع من القوة، والتأكيد على كيفية إنتاجها، ومصادرها، وسلوك القوة، ومخرجاتها.

وبالرجوع إلى القوة الناعمة الإيرانية وتفحصها نجد بأنها لا تتطابق مع المفهوم الدقيق لنظرية القوة الناعمة، وبالأخص في تقييم وتفسير القوة الناعمة من خلال اتجاه السلوك والمخرجات التي ترى أن نوع القوة تحدد بسلوك القوة من حيث كونها قوة جذب وإقناع، أو قوة جبر وإكراه، حتى وإن كانت مصادر هذه القوة ملموسة أو غير ملموسة.

لذلك نرى تأكيد منظري القوة الحادة على أن هناك حاجة لإعادة التفكير في مفهوم القوة الناعمة، لأن المفردات المقيدة لمعنى المفهوم والمستخدمة منذ انتهاء الحرب الباردة لم تعد تعبر على نحو مناسب عن التطورات المعاصرة، وأن الأنظمة الاستبدادية قد تبنت بعض أشكال القوة الناعمة بدهاء، ولكن ليس جوهرها، وأفضل وصف لما تمارسه هذه الأنظمة هو القوة الحادة.[36]

ومن منظور البعض، أن أدوات القوة الناعمة الإيرانية جزء تكميلي لإستراتيجيات القوة الصلبة التي يتبناها النظام في إيران، والذي يعتمد بشكل كبير على المنظمات الثقافية والتعليمية والإغاثية والخيرية، في نطاق الإستراتيجية الإقليمية الإيرانية الساعية إلى التوسع والهيمنة، وذلك لأن الحرس الثوري يستخدم هذه الأدوات كغطاء مدني لها لتنفيذ هذه الإستراتيجية،[37] ولكنها في الحقيقة ليست أدوات القوة الناعمة الإيرانية ضمن إستراتيجيات القوة الصلبة، حتى وإن كانت تمارس من قبل الحرس الثوري أو الأجهزة الإيرانية الأخرى،

بل هي من ضمن آليات القوة الحادة الإيرانية، لأن عنصر الإكراه في القوة الحادة يتميز بخاصيتين هما التسلل أو التغلغل، والسرية، ومن ناحية المصادر فإن مصادر القوة الحادة لا تشبه مصادر القوة الصلبة فهي على الأكثر مصادر غير ملموسة.[38]

2. تطبيقات لأدوات القوة الناعمة الإيرانية

يُقصد بأدوات القوة الناعمة، القنوات التي تتم من خلالها وعبرها ممارسة وتوجيه القوة الناعمة للبلاد، على اعتبار أن أية قوة ناعمة إنما تحتاج إلى تحديد اتجاه المنطقة أو الجهة المستهدفة في سياق منظم بما يخدم الأهداف الإستراتيجية والقومية العليا.

إن القوة الناعمة الإيرانية ترتبط بالأيديولوجيا والأفكار الثورية الإيرانية والتراث الإمبراطوري، حيث شكلت هذه الأفكار بقوة، ترجمة ورؤية آية الله الخميني للنظام السياسي داخل الشيعة الإثني عشرية السائدة بإيران، التي اعتقد أنها الطريقة الأكثر فعالية لخلق حكومة إيرانية نموذجية، ذلك أن مفهوم آية الله الخميني للثورة الإسلامية لم يكن مقصوراً على إيران، بل تضمن تصدير الأفكار والأيديولوجيا إلى الخارج وفقاً لشعاره (لا شرقية ولا غربية ولكن جمهورية إسلامية)، ما يوضح رغبته في المنافسة الثقافية لإيران مع كل من الشرق والغرب.

تهدف القوة الناعمة الإيرانية في إطار الإستراتيجية الإقليمية الإيرانية إلى:

- تحقيق مبدأ تصدير مفاهيم ونموذج الثورة الإيرانية إلى الخارج.
- ترسيخ مبدأ الأممية الإسلامية المتمثلة في إستراتيجية دولة (أم القرى) حيث تكون إيران الدولة المركزية التي تقود المنطقة تحت نظام ولاية الفقيه.
- تمجيد الحضارة والثقافة واللغة الفارسية. حيث تعمل إيران على نشر فهمها للنموذج الشيعي المتمثل بولاية الفقيه في إطار (تشيع قومي فارسي) حول العالم.
- ترسيخ تبعية الشيعة في جميع أنحاء العالم، وفي منطقة الشرق الأوسط خصوصاً، إلى إيران.
- تنشيط حركة التشيّع في دول المنطقة بصورة خاصة.

تتمثل الأدوات والوسائل الإيرانية الرئيسة للقوة الناعمة في المؤسسات الإعلامية والمراكز الثقافية والجامعات والمؤسسات الدينية.

1. الأدوات الإعلامية:

تُعرف مؤسسة الإعلام، التي تديرها الدولة في إيران بـ(وكالة بث الجمهورية الإسلامية الإيرانية– IRIB)، ويشار إليها عادة بإذاعة وتلفزيون جمهورية إيران الإسلامية، التي تأسست عقب الثورة الإسلامية عام 1979، وشعارها (لا للشرق والغرب)، ويؤكد ميثاقها هدف الثورة الإسلامية بتحقيق الاكتفاء الذاتي مع مبادئ أخرى، تشير إلى روح الثورة الإسلامية، وتجسيد سياسة لا للشرق ولا للغرب في جميع مجالات السياسة والثقافة والاقتصاد والشؤون العسكرية، بل والاجتماعية أيضاً. وتواصل الدولة الإيرانية سياسة احتكار جميع محطات الإذاعة والتلفزيون وفقاً للمادة 175 من الدستور الإيراني، ونتيجة لذلك أصبحت إذاعة وتلفزيون إيران الإسلامية مسؤولة عن جميع القنوات والمحطات الموجهة للداخل أو الخارج، وقد بدأ البث التلفزيوني الدولي عام 1997 بإطلاق خدمة باللغة الفارسية للمشاهدين المقيمين بالخارج، لكنها كثّفت وجودها الدولي بإطلاق كثير من القنوات والبرامج بلغات مختلفة، ولأن إيران تنظر إلى ساحة الإعلام الدولي، باعتبارها ساحة حاسمة للحرب الناعمة، فإن هناك عناصر دفاعية، وأخرى هجومية تتبعها إذاعة وتلفزيون جمهورية إيران الإسلامية، منها الترويج لإيران حول العالم، وتصدير الأفكار الثورية والدفاع عن الجمهورية الإسلامية، ومن القنوات الرئيسة لإذاعة وتلفزيون جمهورية إيران الإسلامية:[39]

- قناة سحر: هي قناة دينية لغير الناطقين بالفارسية، بدأت البث في عام 1997 وتهدف إلى تصدير الثورة الإيرانية إلى الخارج ودعم التعليم الإسلامي. وفي عام 2010، انقسمت قناة سحر إلى قناتين فضائيتين منفصلتين: (سحر1)، التي تبث 20 ساعات يومياً باللغات الآذرية والفرنسية والبوسنية؛ و(سحر2)، التي تبث 24 ساعة في اليوم باللغات الكوردية والإنكليزية والأوردو.

- تلفزيون العالم: كانت أول قناة إخبارية إيرانية على مدار 24 ساعة، تم إطلاقها في آذار/مارس 2003 لتتزامن مع الغزو الأمريكي للعراق. تعتبر تلفزيون العالم نفسها منافساً لقناتي الجزيرة القطرية والعربية المدعومة من السعودية، وتبث على الأرض وعلى القمر الصناعي عبر العالم العربي.

• قناة الكوثر: هي قناة دينية تعمل على مدار الساعة وانفصلت عن تلفزيون سحر عام 2006. وتبث باللغة العربية بهدف رفع القيم الإنسانية ودعم المقاومة ضد (الغطرسة العالمية) كما يدعونها. في السنوات الأخيرة، توسعت قناة الكوثر بما يتجاوز البرامج الدينية والثقافية، وتضم الآن أربع نشرات إخبارية في اليوم.

• (Press TV): هي قناة إخبارية باللغة الإنكليزية على مدار 24 ساعة تم إطلاقها في تموز/يوليو 2007، وتهدف إلى تقديم منظور مختلف لوسائل الإعلام الغربية السائدة مثل (CNN وBBC)، كثيراً ما تنتقد الولايات المتحدة والغرب، لديها استوديوهات دولية في بيروت ودمشق وواشنطن ولندن، وهي تبث عبر العالم عبر الأقمار الصناعية والبث المباشر من موقعها على الإنترنيت.

• (Hispan TV): قناة إخبارية باللغة الإسبانية، أطلقت في عام 2011، موجهة إلى الدول الناطقة باللغة الإسبانية.

• قناة (Jaam-e Jam): وتعني (كأس جمشيد، وهي شخصية أسطورية فارسية) التي تقدم برامج باللغة الفارسية تستهدف المغتربين الإيرانيين والمهتمين بالثقافة والحضارة الفارسية. تأسست هذه القناة في كانون الأول/ ديسمبر 1997 وتوسعت إلى ثلاث قنوات منفصلة: تبث القناة الأولى إلى أوروبا والشرق الأوسط. تبث (القناة 2) في المقام الأول إلى أمريكا الشمالية، وتخدم (القناة 3) منطقة آسيا والمحيط الهادئ.

بالإضافة إلى ذلك، أسهمت إيران في إنشاء مؤسسات إعلامية لشبكاتها السياسية ووكلائها في المنطقة، حيث دعمت حزب الله اللبناني في بناء مؤسسته الإعلامية التي تضم الصحف والمحطات الإذاعية، وفي عام 1991 أسس حزب الله قناة (المنار) التلفزيوني، ومنذ عام 2000 بدأت القناة بالبث عبر الأقمار الصناعية.[40]

إن (وكالة بث الجمهورية الإسلامية الإيرانية IRIB) تسيطر على السياسات الإعلامية لجميع المحطات التلفزيونية وإذاعات الراديو التابعة للدولة، يشرف على هذه المؤسسة شخصياً المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، وهذه الهيئة ترتبط بعدد من الوزارات والهيئات الحكومية الأخرى، منها وزارة المخابرات والأمن الإيراني، إلى جانب وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، التي تشاركان معاً في عملية التحكم في نوعية الأخبار المنشورة، أو السيطرة على الصحافة المرئية، أو حتى في عمليات التضليل الإعلامي والدعاية المضادة، أما فيما يتعلق بالمحطات الإذاعية، فتمتلك إيران في هذا القطاع نحو 30 محطة إذاعية تبث بثلاثين لغة مختلفة،

هي الفارسية والإنكليزية والبوسنية والألبانية والإيطالية والعربية والألمانية والتركية والروسية والطاليشية (قومية في شمال إيران وجمهورية أذربيجان) والأوزبكية والدارية (الفارسية الأفغانية) والتركية الآذرية والعربية والألمانية والفرنسية والسواحيلية والبشتو والفارسية الطاجيكية والصينية والآرامية واليابانية والهندية والبنغالية والأردية والإسبانية والكوردية والجورجية والتركمانية. وكل واحدة من هذه المحطات تمتلك موقعاً إلكترونياً للأخبار باللغة الخاصة بها. وهناك محطات إذاعية وتلفزيونية لا تكشف عن أسمائها، وتكون مرحلية وخاصة، تخضع مباشرة لإدارة وإشراف وحدات العمل الخارجي في الحرس الثوري الإيراني، وتحديداً فيلق القدس، وتكون مهمتها أمنية، ولا يحق للموظفين الذين يتم اختيارهم للعمل فيها الحديث أو الكشف عن طبيعة عملهم أو عمل وهدف المحطة التي يعملون فيها. وقد تم تخصيص منطقة معزولة داخل الحرم الأمني لمؤسسة الإذاعة والتلفزيون تضم مباني لهذه المحطات، بحيث لا يحق لأي موظف في المؤسسة الدخول إليها ما لم يكن من العاملين فيها.[41]

2. الأدوات الثقافية:

لقد كانت الأدوات الثقافية إحدى أهم الوسائل لتصدير الثورة، وفي هذا المجال قامت إيران بتوظيف حركة ثقافية واسعة خارج إيران للوصول إلى أهدافها المنشودة، وقامت بتأسيس مؤسسات ثقافية مختلفة، حيث أسست في عام 1995 منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية (Islamic Culture and Relations Organization- ICRO)، وترتبط هذه المنظمة بوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، ولكن يشرف عليها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية، وهو الذي يعين أعضاء مجلس إدارتها، وتعمل المنظمة، كما تدعي، على إقامة علاقات ثقافية بين مختلف شعوب العالم من أجل تطوير الحوار وترتيبات اللغة المشتركة، وتعزيز التبادل الثقافي، وشرح الثقافة والحضارة الإيرانية الإسلامية، وتطوير العلاقات الثقافية مع الدول الأخرى والمنظمات الدولية، وتنمية الحوار بين الديانات والحضارات. وجاء في موقعها الإلكتروني بأن أهدافها هي تعزيز الروابط الثقافية مع الدول والمجتمعات الأخرى، تعزيز الروابط الثقافية لجمهورية إيران الإسلامية مع الدول الأخرى، العرض المناسب للثقافة والحضارة الإيرانية، تهيئة أسس الوحدة بين المسلمين، إحياء ونشر الثقافة والتعاليم الإسلامية في العالم، نشر المعلومات حول مبادئ وواقع الثورة الإسلامية. إن منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية هي بحكم الواقع جهاز الدبلوماسية العامة الإيرانية.

يوجد لهذه المنظمة 72 مكتباً رسمياً حول العالم، وهي نشيطة في الدول المجاورة، رغم أنها أعلنت أن هدفها هي إقامة علاقات وثيقة مع الشعوب الإسلامية، بالإضافة إلى نشر اللغة والثقافة الفارسية في هذه المكاتب، ولكن يتم أيضاً تطوير علاقات وثيقة مع الطوائف الشيعية في تلك البلدان. على سبيل المثال في العراق وباكستان وسوريا ولبنان.[42] وتنسق أيضاً النشاطات الثقافية التي تقوم بها المراكز الثقافية الإيرانية في الخارج، والمستشاريات الثقافية، ومراكز تعليم اللغة الفارسية، والملحقيات الثقافية في السفارات الإيرانية، إضافة لممثلي المرشد الأعلى في الخارج، ومع ذلك هناك مراكز ثقافية غير رسمية عديدة ترتبط بإيران وتوسع دائرة نفوذها، خصوصاً في نصف الكرة الغربي، التي لا تريد أن تظهر فيها بشكل علني، فإنها تحتفظ بنفوذ متزايد عبر مراكز ثقافية غير رسمية في المنطقة.[43]

إضافة إلى ذلك فأن هذه المنظمة تنظم وتنسق الاتفاقيات الثنائية بين إيران والدول الأخرى، حيث إن لإيران اتفاقيات التعاون الثقافية مع الدول الأخرى، وأن عدد منظمات الصداقة والتعاون القائمة بين إيران وهذه الدول تحت خيمة منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ICRO) هو (45) منظمة. (5) منها في الشرق الأوسط، (10) في آسيا والمحيط الهادئ، (7) في وسط أوراسيا، (12) في أوروبا، (5) في أفريقيا، (2) في أمريكا الشمالية، و(4) في أمريكا اللاتينية. وبالمثل، تنظم إيران فعاليات أسبوع الثقافة الإيرانية في حوالي (30) دولة التي تعد من أهم الوسائل التي تقوم بها إيران للتقارب والتغلغل داخل مجتمعات هذه الدول. أما عن المراكز الثقافية الإيرانية ومعاهد تعليم اللغة الفارسية، أنشأت إيران أكثر من (600) مركزاً ثقافياً في أكثر من (45) دولة. هناك (13) مركزاً في (5) دول في الشرق الأوسط، و (38) مركزاً في (8) دول آسيا والمحيط الهادئ، و(203) مركزاً في (7) دول وسط أوراسيا، و(281) مركزاً في (21) دولة أوروبية، ومركز واحد في غانا، و(99) مركزاً في أمريكا الشمالية. بنفس الطريقة، يوجد حوالي 100 مركز ومعهد لتعليم اللغة الفارسية في دول مختلفة من العالم.[44]

وبحسب وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي الإيرانية فإن هناك مستشاريات إيرانية في أكثر من 68 دولة في العالم تنشط في مجال تعزيز وتوسيع العلاقات الثقافية مع مختلف شعوب العالم، وتؤكد على المشتركات الثقافية والتبادل الإيجابي للقيم الثقافية. وتتسع المهام المعلنة لتلك المستشاريات والممثليات الثقافية وتتشعب لتغطي نشاطات متعددة من بينها التعريف بالثقافة والحضارة الإسلامية والإيرانية وتوضيح السياسات الثقافية للجمهورية الإسلامية. وتوفير الدعم المادي والمعلوماتي للدراسات والبحوث الإيرانية في جامعات الدول

الأجنبية، وتوسيع مراكز الدراسات الإيرانية في الخارج، إضافة إلى نشر وإشاعة اللغة والأدب الفارسي، وإبراز التأثير التاريخي للثقافة الإيرانية في الشعوب الأخرى. كذلك تحرص تلك المراكز على التعريف بأبرز الشخصيات الاجتماعية والثقافية الإيرانية وتعرض مؤلفاتهم. وتجتهد في تعميق العلاقات الثقافية مع كل الجهات ذات الصلة، مثل الصحف والجامعات والمكتبات العامة والهيئات والمؤسسات الدينية، واتحادات المرأة، والشباب، والطلاب.[45]

وتشير إحصائيات الموازنة العامة في إيران إلى حجم النفقات الضخمة التي يتم تخصيصها لدعم المراكز الثقافية والدينية وزيادة المخصصات المالية ومضاعفتها بشكل متواصل، حيث تم ضخ 31,1 تريليون ريال إيراني (853 مليون دولار) في الميزانية المنتهية، في آذار/ مارس 2019، لحساب 12 مؤسسة ثقافية ودينية، بهدف تعزيز البرامج الأيديولوجية لإيران، وذلك بزيادة تقدر بنسبة 9% عن عام 2018.[46]

إن الأدوات الثقافية الإيرانية لا تؤدي مهام الدبلوماسية الثقافية فقط، بل إنها تستخدم كغطاء استخباري لتنفيذ العمليات السرية، عادة يتهم الملحق الثقافي في السفارات الإيرانية في ضلوعه بعمليات التفجير ومحاولات الاغتيال، إضافة إلى تجنيد العملاء وتشكيل شبكات التجسس والاختراق والتغلغل داخل الدول التي يعملون فيها، فعلى سبيل المثال اتُهم (محسن رباني)، الملحق الثقافي الإيراني في الأرجنتين، بدوره في تفجير مركز ثقافي يهودي في بوينس آيرس عام 1994 الذي أسفر عن مقتل 85 شخصاً وجرح أكثر من 200 شخص.[47]

وقامت الكويت بإغلاق الملحقية الثقافية الإيرانية في عام 2017 على إثر كشف الأجهزة الأمنية الكويتية في عام 2015 خلية تابعة لإيران سميت بخلية (العبدلي)، حيث كان يتمركز أفراد الخلية المكونة من 26 شخصاً في منطقة العبدلي الحدودية، وبحوزتهم 20 طناً من الأسلحة ومواد متفجرة وأجهزة اتصال وتنصت بقصد استهداف منشآت حيوية وإستراتيجية في الكويت، وعلى غرار ذلك طردت الكويت الملحق الثقافي الإيراني، الذي تولى رئاسة الملحقيات الثقافية الإيرانية في كل من بيروت والدوحة والكويت على التوالي، وكان أيضاً مديراً لإذاعة (صوت المستضعفين) في لبنان.[48] إضافة إلى ذلك أصدرت السلطات السودانية قراراً في بداية أيلول/ سبتمبر 2014 قضى بإغلاق جميع المراكز الثقافية الإيرانية المتواجدة عبر المدن السودانية، كما تم طرد الملحق الثقافي، وكل العاملين الإيرانيين داخل هذه المراكز، وهذا لتجاوز مهامهم

الدبلوماسية والتفويض الممنوح لهم والاختصاصات التي تحدد الأنشطة المسموح لهم بمزاولتها، وكذلك إقامة حملة لطرد الملحق الثقافي الإيراني في الجزائر للأسباب ذاتها.[49]

3. الأدوات الدينية:

تستخدم إيران أدواتها الدينية بهدف تصدير الثورة إلى الخارج، إضافة لحركة التشيّع التي تقوم بها إيران، ذلك وعلى عكس الأداة الثقافية، تركز الأداة التبشيرية على الخليج العربي الذي يحتل الأولوية في الإستراتيجية الإيرانية العشرينية (إيران 2025)، والمنطقة العربية وإفريقيا.[50]

إنه من الواضح أن عناصر القوة الناعمة الإيرانية تتمثل في اللغة والثقافة الفارسية، والإسلام والمذهب الشيعي، ومن خلال استخدام إيران لأدواتها الدينية تبرز مجموعة من الأسئلة أهمها لماذا توظف إيران أدواتها الدينية؟ ومن هم الفئة المستهدفة بذلك؟ هل هم غير المسلمين؟ أم المسلمين من غير المذهب الشيعي؟ أم إنها بالأصل تستهدف الشيعة؟ وهل هذه الأدوات توظف من أجل التشيّع؟

يرى المفكر الكويتي، الدكتور (عبد الله النفيسي) أنه لكي نفهم الشيعة كجماعة سياسية أو كدولة ينبغي الوقوع في حفرة المعلن (الأيديولوجي) والغفلة عن المستور (الجيوستراتيجي)، والحسبة الإستراتيجية لإيران سواء في الداخل أو الخارج مرتبطة دون أدنى شك بالجيوستراتيجي وربما بغطاء إيديولوجي يشكل التشيّع إحدى واجهاته وأدواته، إنما الاستهداف الإستراتيجي هو محض (قومي فارسي)، ولا تستطيع إيران أن تخاطب القوميات الموجودة في المنطقة، وخاصة العرب، بخطاب قومي فارسي لأن ذلك لا يؤمن لها المقبولية لدى هذه القوميات، لذا يشكل التشيّع (حصان طروادة) لاختراق هذه القوميات، وبشكل خاص اختراق الحصن العربي.

ويضيف أن التشيّع بالنسبة لإيران آلية وأداة أكثر منها غاية والتزام، التشيّع بالنسبة لإيران منذ القرن السادس عشر وقدوم الصفويين لدواليب الحكم في تبريز هو وسيلة تجييش ضد الدولة العثمانية السنية، الاعتبار الجيوسياسي هنا هو (قومي فارسي) ولذا انحاز الصفويون إلى (قم) الفارسية على حساب (النجف) العربية كمرجعية للعموم الشيعي في العالم، وحتى في النجف تحرص إيران أن لا يكون المرجع أحد من بيت (الحكيم) أو (الصدر) أو (كاشف الغطاء) أو غيرهم من العراقيين وذلك تأكيداً من إيران على فارسية المرجع الشيعي حتى في العراق.[51]

وتعمل إيران على نشر فهمها للنموذج الشيعي المتمثل بولاية الفقيه (تشيع قومي فارسي) حول العالم، كما تُعلي من شأن (قم) كإطار مرجعي مقابل (النجف) لتخريج الأئمة الموالين لها والذين يعملون كسفراء لها ينشرون رسائل إيران الدينية والثورية والإعلامية والثقافية والسياسية. وقد ساعد ذلك على تقوية موقع (قم) في اجتذاب أبناء المنطقة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال رؤية تركيبة البيت الشيعي في لبنان والذي تحول جزء كبير منه من مرجعية (النجف) إلى (قم) خلال أقل من عقدين. وتسعى طهران لتوحيد الأقليات الشيعية أينما وُجدت تحت رايتها، وتستخدم أيضاً المصطلحات التي تساعد على توسيع نفوذها في هذا الإطار لنشر التشيّع في بيئات أخرى كالوحدة الإسلامية، والتضامن الإسلامي، والتسامح والحوار بما ينعكس مكسباً سياسياً لها.[52]

ولذلك يرى الكثير من الباحثين بأنه يجب التمييز بين الشيعة بشكل عام وبين إيران والسياسات الإيرانية، فتناول إيران يجب ألا يفسر على أنه تناول للشيعة ولا يجب أن يكون كذلك خاصة عندما نتحدث عن الشيعة العرب غير التابعين للولي الفقيه في إيران، فإيران لا تمثل ولا تحمي الشيعة العرب، بل على العكس تستغلهم وقوداً لمشروع هيمنتها في الشرق الأوسط، وليس أكثر دلالة على ذلك من تعامل إيران مع عرب الأحواز، وكذلك موقف إيران مع أرمينيا (المسيحية) ودعمها في نزاعها مع أذربيجان الشيعية، ولكن من عرق تركي.[53] وأن إيران لا تدعم الشيعة في المنطقة، بل تحاول تقويض دول المنطقة وجعلها دول فاشلة، مثل العراق ولبنان وسوريا واليمن لكي تستطيع فرض النفوذ في هذه البلدان وذلك كله في إطار إستراتيجيتها في المنطقة.

وفي رأي آخر للباحثين الإيرانيين أنه منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية عام 1979، اعتمدت إيران على طابعها الشيعي الفريد كأساس لقوتها الناعمة لحشد الدعم لسكان الشيعة في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى الذي يهيمن عليه السنة. وكانت هذه السياسة مدروسة وإستراتيجية، وذات أسس أيديولوجية واضحة. في حين أنها كانت ناجحة، بما في ذلك النفوذ الواضح لإيران في لبنان وسوريا، أو في العراق بعد سقوط نظام صدام حسين، فإن تأثيرها، محدود النطاق والجغرافيا، مما يحد من قدرة طهران على توليد مكاسب إستراتيجية طويلة الأجل. ويرون إن الاعتماد على الطابع الشيعي كأساس للقوة الناعمة يتعارض مع دستور الجمهورية الإسلامية، الذي يتطلب من الحكومة صياغة سياستها الخارجية على أساس (الالتزام الأخوي تجاه جميع المسلمين)، وصياغة سياساتها العامة (بهدف تنمية الصداقة والوحدة بين جميع الشعوب المسلمة).

علاوة على ذلك أنه يحد من وصول تأثير القوة الناعمة الإيرانية إلى ما وراء العالم الشيعي، فإن هذا النهج يساهم أيضاً في الانقسامات الطائفية في المنطقة، مما يؤدي إلى ترسيخ التحالفات على أسس طائفية، ويعد هذا أمراً مدمراً للذات، لأنه لا يعقد فقط البيئة الأمنية بما يكفي لإيران، ولكنه يزيد أيضاً من عزلة إيران عن فضائها الجيوسياسي. فإن حجة بعض من الأكاديميين الإيرانيين ليست تخلي إيران عن الشيعة، بل بالعكس يجب على إيران تطوير صورة (الدولة المدافعة) عن هذه الفئات الاجتماعية، ولكن، حسب آرائهم، يجب تبني سياسات ومواقف يمكن أن تعزز قدرة إيران على إبراز نفوذها الإيجابي بشكل أكثر فاعلية وتعزيز مصالح البلاد خارج حدود (العالم الشيعي)، وتحقيق الاستقرار للبلاد وللمنطقة.[54]

تعد إيران ثورتها الثقافية وتصدير مفاهيمها جزءاً من دبلوماسيتها العامة، لذلك ترسخ أدواتها الدينية ضمن مؤسساتها الثقافية وتقوم بتنشيطها في الخارج في نطاق اتفاقيات التعاون الثقافية مع الدول الأخرى. لذلك أن المؤسسات الإيرانية المنوط بها الترويج للنسخة الإيرانية من التشيّع في العالم تعمل أغلبها تحت خيمة منظمة الثقافة والعلاقات الإسلامية (ICRO)، التي تعدها إيران جهاز دبلوماسيتها العامة، وتوجد داخل سفاراتها ومراكزها الثقافية ومراكز ومعاهد تعليم اللغة الفارسية، وإن أهم المؤسسات التي تروج للأدوات الدينية الإيرانية هي:[55]

- المجمع العالمي لأهل البيت: ومهمته هي التعريف بالتشيع الإيراني ونظام الولي الفقيه، ومتابعة أخبار الشيعة حول العالم، وإصدار الكتب الشيعية بكل اللغات. وتعمل على وضع خطط تتعلق بكيفية تفعيل شيعة العالم في أجندة سياسية.

- منظمة التبليغ الإسلامية: تعمل على نشر ثقافة التشيع عبر مختلف النشاطات، والتعريف بالأدب الفارسي والثقافة الإسلامية والثورة الإيرانية، وتهيئة رجال دين للقيام بتأدية الأدوار.

- مجمع التقريب بين المذاهب: يهدف إلى تجاوز الدائرة الشيعية إلى الإطار الأوسع في البيئة السنية، عمله يحمل طابعاً دعائياً وترويجياً للاختراق من خلال الأدوات الدينية.

- الحوزات الدينية في الخارج: تقوم على نشر تعاليم وفقه العقيدة الشيعية، وقبول الطلبة من غير الشيعة وإعطائهم المنح الدراسية في (قم) بعد إكمالهم مرحلة ما يعرف بالمقدمات في بلدانهم.

• ممثليات المرشد الأعلى في الخارج: تقوم على حماية المصالح التي يمثلها المرشد الأعلى والترويج لمرجعيته، وتقديم الدعم المالي لطلاب الحوزات الدينية والإشراف على أداء عمل المؤسسات الإيرانية في الخارج.

4. الجامعات الإسلامية:

من أهمها جامعة المصطفى العالمية، فوفقاً للبند التأسيسي رقم 9 بالجامعة، فإن أهدافها هي تدريب الفقهاء والخبراء ورجال الدين والباحثين والمترجمين ورجال الدعوة والمعلمين والمدراء والترويج للإسلام النقي، لكن التعاليم الدينية التي يتلقاها الدارسون في الجامعة تعكس الأفكار الشيعية المحافظة والأهداف السياسية للزعامة الإيرانية. تخضع الجامعة مباشرة لإشراف مكتب المرشد الأعلى آية الله خامنئي، الذي يعين ويقيل رئيس الجامعة ومجلس أمنائها، ويملك وضعاً استشارياً، كما بوسعه حل إدارة الجامعة في أي وقت يشاء. وللجامعة وجود في مناطق مختلفة حول العالم، كما توفر دراسات تعليمية ودرجات علمية عن بعد، عبر شبكة الإنترنت (أون لاين) لغير القادرين على السفر إلى فروعها. ولزيادة نفوذ الجامعة، افتتحت عام 2014، 360 مركزاً قرآنياً خارج فروع جامعاتها، كما أن هناك 58 جامعة فرعية، معظمها خارج إيران، بما فيها بيروت، ولندن، ودول غرب أفريقيا.[56]

وفي أواخر عام 2020، أدرجت وزارة الخزانة الأمريكية، هذه الجامعة على لائحة العقوبات، لتكون المرة الأولى التي تُعاقب فيها الولايات المتحدة كياناً (تربوياً) بسبب تورّطه بالإرهاب. أكدت الوزارة أن الجامعة متورطة في تجنيد عناصر من فيلق القدس والحرس الثوري الإيراني، من أجل جمع معلومات استخباراتية وتنفيذ عمليات إرهابية، مشيرة إلى أنها قامت عبر فروعها الخارجية "بأدوار في تسهيل تجنيد أشخاص لصالح الحرس الثوري والميليشيات الأجنبية التي يقودها"، كما أشار إلى أن الجامعة قامت بإرسال مجندين إلى سوريا للقتال نيابة عن الميليشيات التي يقودها الحرس الثوري الإيراني، خصوصاً إلى ميليشيا (فاطميون) الأفغانية، وميليشيا (زينبيون) الباكستانية، لافتاً إلى استخدام الحرس الثوري الجامعة كغطاء لتجنيد الطلبة الأفغان، واستخدام حرمها في مدينة قم بإيران كأرض لتدريب الطلبة الباكستانيين وضمهم إلى ميليشيا زينبيون.[57]

وجامعة آزاد الإسلامية، حيث تم افتتاح الجامعة من قبل مؤسس الجمهورية الإسلامية آية الله الخميني عام 1982. تستضيف الجامعة ما لا يقل عن مليون طالب في أكثر من 300 فرع لها داخل وخارج إيران.

وافتتحت الجامعة فروعاً لها في لبنان، في مدينتي بيروت والنبطية بالتحديد، وكذلك في سوريا، كما افتتحت فروعاً لها في كابول، على مقربة من جامعة (خاتم النبيين) الممولة من قبل إيران، التي يديرها الزعيم الشيعي الأفغاني (آية الله آصف محسني)، والتي تُشغّل أساتذة ومدربين قادمين من إيران، وتعتمد المناهج الدراسية القادمة من طهران. ويشغل علي أكبر ولايتي، مستشار المرشد الأعلى للسياسة الخارجية، منصب رئيس مجلس أمناء الجامعة. وجامعة آزاد هي الجامعة الإيرانية الثالثة التي تفتح في سوريا، إذ سبق أن افتتحت إيران كلاً من جامعة المصطفى وجامعة الفارابي منذ بدء التدخل العسكري الإيراني في سوريا إلى جانب النظام عام 2011.[58]

افتتحت وزارة العلوم والبحوث والتكنولوجيا الإيرانية فروعاً جامعية في فنزويلا ولبنان والإمارات، وباكستان، وأرمينيا، وتنزانيا. كما وضعت خططاً في أفغانستان، وطاجيكستان، وكندا، وماليزيا. وتقرر إنشاء الجامعة الإيرانية الأفغانية من أجل تحقيق مشاريع بحثية وهندسية مشتركة. أنشأت إيران فرعاً لجامعة آزاد في أفغانستان وكذلك جامعة الحاج عبد الله الأنصاري في هرات كفرع للجامعة الإيرانية للعلوم والتكنولوجيا، وفقاً للبيانات الرسمية، في عام 2018، حيث كان هناك حوالي (55000) طالب أجنبي يدرسون في إيران، و(27000) طالب أجنبي يدرسون في الجامعات الحكومية، و(17000) طالب في العلوم الدينية في جامعة المصطفى العالمية، و(10000) طالب في جامعة آزاد الإسلامية، و(2500) طالب في جامعات العلوم الصحية.[59]

توسعت إيران في إنشاء فروع جامعاتها في عدة دول عربية من أجل تعزيز حضورها الثقافي والسياسي في هذه الدول. وأخذ هذا التوسع طريقاً متمثلاً في زيادة أفرع جامعاتها في ثماني دول عربية، هي: الإمارات العربية المتحدة، والعراق، وسوريا، ولبنان، وعمان، وجزر القمر، وقطر، والكويت؛ علاوة على وجود ثمانية أفرع أخرى على الأقل قيد الإنشاء. وتتخذ فروع هذه الجامعات أشكالًا متنوعة، سواء عبر أفرع فعلية لجامعات إيرانية، أو أكاديميات ثقافية مسؤولة عن نشر الثقافة الإيرانية، والتواصل مع الجالية الإيرانية في هذه البلدان.[60]

فعلى سبيل المثال، يوجد في دبي، وحدها، فرعان لجامعتي آزاد الإسلامية وشهيد بهشتي، اللتين تتيحان للطلاب الإيرانيين والعرب عدداً من البرامج التعليمية للحصول على درجات البكالوريوس والماجستير

والدكتوراه في مجالات مختلفة مثل: الهندسة، والقانون، والعلوم الإنسانية، والفنون، والإدارة، والرياضيات. وفي لبنان، يوجد فرع لكل من جامعة آزاد الإسلامية وجامعة بيام نور، ولا تزال جامعة طهران قيد الإنشاء، بينما لا يوجد في قطر إلا فرع واحد لجامعة بيام نور، وهي الجامعة نفسها المتواجدة في الكويت، وفي سلطنة عمان تتواجد جامعتا آزاد الإسلامية وبيام نور، بينما توجد في سوريا جامعة الفارابي، والتي هي فرع لجامعة إعداد المدرسين الإيرانية.[61]

وهناك أيضاً جامعة آل البيت العالمية، التي تأسست عام 2001 وهي أول جامعة عربية بين الحوزات العلمية في مدينة قم. وتستقطب هذه الجامعات أعداداً كبيراً من الطلاب حيث يتم توجيههم نحو اختراق مجتمعاتهم والسلطة السياسية في بلدانهم بعد تخريجهم وعودتهم إليها.

تعمل جميع المؤسسات الثقافية والدينية والتعليمية والإغاثية في كل بلد تتواجد فيه تحت إشراف لجنة مشتركة مكونة من السفير الإيراني في هذا البلد، ومدير مكتب المخابرات، وممثل المرشد الأعلى، وممثل من فيلق القدس، ويرأس هذه اللجنة على الأغلب السفير، وتقوم بتوجيه هذه المؤسسات، وترسيم خططها ونشاطاتها والتي غالباً ما تكون مهاماً مكشوفة وعلنية، ومهام أخرى سرية واستخبارية في نطاق الأهداف الإستراتيجية الإيرانية.[62]

الخاتمة:

تسعى الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى دور إقليمي ريادي في منطقة الشرق الأوسط، من خلال إستراتيجية الهيمنة التي تنبع مصادرها من المبادئ الرئيسة للثورة الإسلامية في إيران، وتوظف جميع أدواتها لتحقيق هذه الأهداف، ومن ضمنها أدوات القوة الناعمة.

لقد اعتمدت إيران على أدوات ثقافية وإعلامية ودينية لتصدير مفاهيم ثورتها إلى الخارج والشروع بتنفيذ إستراتيجية الهيمنة والسياسة التوسعية وحتى قبل ظهور هذه النظرية، وقامت بتوظيف هذه الأدوات والآليات منذ قيام ثورتها حسب فهمها الخاص لكيفية استغلال هذه الأدوات في تحقيق أهدافها دون الخوض في النواحي النظرية إن كانت هذه الأدوات مصدر لجذب الآخرين، والتعاون وكسب القلوب والعقول، بل استخدمتها في إطار الإكراه الناعم، أو الإجبار الناعم والتي تأتي بمعنى القدرة على فرض السيطرة وتحقيق الأهداف بوسائل غير عسكرية. ويشير ذلك إلى أن استخدام إيران لأدوات وآليات القوة الناعمة ضمن

إستراتيجياتها لتحقيق أهداف سياستها الخارجية لا تتطابق مع معايير مفهوم القوة الناعمة الذي أصبح نمطاً لأنماط القوة في العلاقات الدولية، بل حتى إن الأوساط السياسية والفكرية الإيرانية لها تفسيرها الخاص لنظرية القوة الناعمة والتي تصفها بالحرب الناعمة الغربية تجاه إيران.

إضافة إلى ذلك توظف إيران أدوات قوتها الناعمة كجزء من مهام ثورية، وعقائدية، وقومية، والتي تهدف إلى الاختراق والتغلغل في عقول وقلوب شعوب الدول المستهدفة ضمن إستراتيجية الهيمنة الإيرانية، والتي تتضمن دول الشرق الأوسط، لقبول أهداف ومخططات إيرانية، تنفذها المؤسسات الرسمية الإيرانية ويشرف عليها المرشد الأعلى وقائد الثورة الإسلامية.

وبذلك تستنتج هذه الدراسة إلى أن القوة الناعمة الإيرانية في تطبيقاتها الحالية ضمن إستراتيجيتها للهيمنة، تتطابق مع معايير نظرية القوة الحادة.

وتوصي الدراسة صانع القرار الإيراني بأن إيران تستطيع أن تؤدي دور بارز ورئيسي في الشرق الأوسط إذا اعتمدت سياسة تعاونية وتوظف أدوات قوتها الناعمة في جذب الآخرين، وذلك لما لإيران من حضارة وثقافة عريقة وما لها من مشتركات مع شعوب المنطقة، وحتى العامل أو العنصر الشيعي يمكن أن يؤدي دوراً بارزاً في إنجاح الإستراتيجيات الإيرانية إذا تعامل معه كأداة من أدوات قوتها الناعمة، وابتعدت عن تثويره وتسليحه ومشاركته في اختراق النظم السياسية والأمنية والاقتصادية لدول المنطقة.

التهميش:

[1] Joseph S. Nye, Bound to Lead: The Changing Nature of American Power, (New York: Basic Books, 1990), p.28.
[2] Robert O. Keohane, Joseph S. Nye, "Power and Independence in the Information Age", Foreign Affairs, vol. 77, 5 (1998), p. 86.
[3] Joseph S. Nye, Soft Power: The Means to Success in World Politics, (New York: Public Affairs, 2004), p. 5.
[4] Mingjiang Li, Soft Power: China's Emerging Strategy in International Politics, (Maryland: Lexington Books, 2009), p. 4.

[5] علي جلال معوض (2019). مفهوم القوة الناعمة وتحليل السياسة الخارجية، الطبعة الأولى (الإسكندرية: مركز الدراسات الإستراتيجية، 2019)، ص 22.

[6] Joseph S. Nye, Soft Power: The Means to Success in World Politics, p. 11.

[7] William A. Rugh, Toward A New Public Diplomacy, Redirecting U.S Foreign Policy, Philip Seib (ed.), (New York: Palgrave Macmillan, 2009), p. 9.
[8] Joseph S. Nye, Soft Power: The Means to Success in World Politics, p. 61.
[9] Christopher Walker, "The Point of Sharp Powe", Project Syndicate, Feb 1, 2018, accessed March 6, 2019, available at: https://bit.ly/3b3mDlf
[10] Ibid.
[11] Christopher Walker & Jessica Ludwig, "The Meaning of Sharp Power, How Authoritarian States Project Influence", Foreign Affairs, Nov 16, 2017, accessed March 6, 2019, available at: https://fam.ag/3O2Pzsn
[12] Christopher Walker, "What is Sharp Power", Journal of Democracy, Vol. 29, 3 (2018), p. 12., and ibid.
[13] Joseph S. Nye, "China's Soft and Sharp Power". Project Syndicate, January 4, 2018, accessed March 6, 2019, available at: https://bit.ly/3tMeOqJ
[14] Joseph S. Nye, "How Sharp Power Threatens Soft Power, The Right and Wrong Ways to Respond to Authoritarian". Foreign Affairs, January 24, 2018, accessed March 6, 2019, available at: https://fam.ag/3QyTwqf
[15] Joseph S. Nye, "China's Soft and Sharp Power", ibid.
[16] Xin Liu, "What Sharp Power? It's Nothing but Unsmart Power". Center on Public Diplomacy, University of Southern California, Nov 15, 2018, accessed June 10, 2019, available at: https://bit.ly/3O6jTCl
[17] Jingkai Shao, "Exploring China's Sharp Power: Conceptual Deficiencies and Alternatives", Transcommunication, Vol 6-2 (Fall 2019), p. 131.
[18] Olga G. Leonova, "Sharp Power, The New Technology of Influence in a Global World". World Economy and International Relations, Vol 63, No 2 (February 2019), p. 23.
[19] John F. Copper, "The New Concept Sharp Power in International Politics: A Critique". IPP Review, February 15, 2018, accessed June 10, 2019, available at: https://bit.ly/3N1cXFq
[20] Christopher Walker, "What is Sharp Power", p. 18.

[21] Joseph S. Nye, "How Sharp Power Threatens Soft Power, The Right and Wrong Ways to Respond to Authoritarian", ibid.
[22] Geun Lee, "A Theory of Soft Power and Korea's Soft Power Strategy", Korean Journal of Defense Analysis, Vol. 2, No. 2 (2009), pp. 200-201.
[23] عبد الله يغين، "القوة الصلبة والناعمة لإيران"، رؤية تركية، السنة 5، العدد 2 (صيف 2016)، ص 93.
[24] Nadia Von Maltzahn, "The Case of Iranian Cultural Diplomacy in Syria", Middle East Journal of Culture and Communication, Vol. 2, No. 1 (2009), p. 36.

[25] عبد الله يغين، ص 94-95.
[26] William A. Rugh, p. 9.
[27] Joseph S. Nye, Soft Power: The Means to Success in World Politics, p. 61.
[28] S.M. Mirmohammad Sadeghi and R. Hajimineh, "The role of Iran's Soft Power in Confronting Iranophobia", MGIMO Review of International Relations, Vol. 12, No. 4 (2019), p. 220.
[29] E.O. Tamdemir, Islamic Republic of Iran Diplomacy and Soft Power, Master Thesis, (Ankara: Yildirim Beyazit University, 2017), p. 4.
[30] Mingjiang Li, pp. 5-9.

[31] Jeanne Wilson, "Soft Power: A Comparison of Discourse and Practice in Russia and China", Europe-Asia Studies, vol 67, No 8 (October 2015), pp. 1183-1184.
[32] E. L. Blout, "Soft War: Myth, Nationalism, and Media in Iran", The Communication Review, Vol. 20, No. 3 (2017), p. 218.
[33] Joseph S. Nye, "How Sharp Power Threatens Soft Power, The Right and Wrong Ways to Respond to Authoritarian"., ibid.
[34] Orysia Lutsevych, "Agents of The Russian World Proxy Groups in The Contested Neighbourhood". Chatham House, April 14, 2016, accessed December 10, 2019, available at: https://bit.ly/3n29qvX
[35] Seth G. Jones and Danika Newlee, The United States' Soft War with Iran. (Washington DC: Center for Strategic and International Studies, 2019). p. 2.
[36] Christopher Walker, "The Point of Sharp Powe", ibid.
[37] Ahmad Majidyar, "Iran's Soft Power: Islamic Azad University Opening Branches in Major Syrian and Iraq Cities", Middle East Institute, January 17, 2018, accessed June 10, 2019, available at: https://bit.ly/3mWOVRc
[38] Jingkai Shao, p. 132.
[39] Seth G. Jones and Danika Newlee, pp. 2-4.
[40] Ibid, p. 4.
[41] كريم عبديان بني سعيد، (2017). "حرب إيران الإعلامية الكبيرة"، جريدة الشرق الأوسط، 29 مارس 2017.

[42] S.M. Mirmohammad Sadeghi and R. Hajimineh, pp. 222-223.
[43] Seth G. Jones and Danika Newlee, pp. 5-6.
[44] S.M. Mirmohammad Sadeghi and R. Hajimineh, p. 223.
[45] معتز بالله محمد، "المستشاريات الثقافية الإيرانية.. القوة الناعمة لأخطبوط التشيع"، موقع الراصد، 22 فبراير 2015، شوهد في 30 يوليو 2020، على الرابط: https://bit.ly/3n05fPz

[46] كريم شفيق، "المراكز الثقافية الإيرانية في أوروبا: قوى ناعمة لدعم الميليشيات"، موقع الحفريات، 26 يوليو 2020، شوهد في 30 يوليو 2020، على الرابط: https://bit.ly/2LnB7j7
[47] Emanuele Ottolenghi, Emerging External Influences in The Western Hemisphere, (Washington, DC: Foundation for Defence of Democracies, 2017), p. 3.
[48] المعهد الدولي للدراسات الإيرانية، "طرد دبلوماسيين إيرانيين من الكويت، وإغلاق الملحقيتين الثقافية والعسكرية"، 20 يوليو 2017، شوهد في 7 أغسطس 2020، على الرابط: http://bit.ly/3tSNeGC
[49] إسماعيل خلف الله، "تخريب الجزائر هدف إيران القادم"، مركز الأمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية، 9 فبراير 2016، شوهد في 10 أغسطس 2020، على الرابط: http://bit.ly/3pgwTbh
[50] علي حسين باكير، "اكتشاف القوة الناعمة الإيرانية .. القدرات وحدود التأثير"، مركز الجزيرة للدراسات، 11 أبريل 2013، شوهد في 10 أغسطس 2020، على الرابط: http://bit.ly/3b4vgZ4
[51] عبد الله النفيسي، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، تقديم الدكتور عبد الله فهد النفيسي، الطبعة الثانية (عمان: مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية مع دار عمار للنشر والتوزيع، 2014)، ص 16-17.

[52] Ali Alfoneh, "Between Reform and Revolution: Sheikh Qassim, the Bahraini Shi'a, and Iran", American Enterprise Institute for Public Policy Research, No 4, July 2012, accessed December 12, 2020, available at: https://bit.ly/3xEuDB1

[53] علي حسين باكير، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، تقديم الدكتور عبد الله فهد النفيسي، الطبعة الثانية (عمان: مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية مع دار عمار للنشر والتوزيع، 2014)، ص 10.

[54] S.M. Mirmohammad Sadeghi and R. Hajimineh, p. 221.

[55] Seth G. Jones and Danika Newlee, p. 6.

[56] Ibid, p. 6.

[57] جوني فخري، "تفاصيل عن جامعة المصطفى.. ذراع الحرس الثوري في لبنان"، موقع قناة العربية على الانترنيت، 11 ديسمبر 2020، شوهد في 8 يناير 2021، على الرابط: http://bit.ly/36lXhd4

[58] Ahmad Majidyar, ibid.

[59] S.M. Mirmohammad Sadeghi and R. Hajimineh, p. 223.

[60] "الجامعات الإيرانية في الدول العربية.. باب خفي آخر لنفوذ إيران؟"، موقع sasapost، 11 يونيو، 2018، شوهد في 12 يناير 2021، على الرابط: http://bit.ly/3pi3Xj4

[61] نفس المصدر.

[62] صباح الموسوي الأحوازي، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، تقديم الدكتور عبد الله فهد النفيسي، الطبعة الثانية (عمان: مركز أمية للبحوث والدراسات الإستراتيجية مع دار عمار للنشر والتوزيع، 2014)، ص 50.